في ليلة جداوية زاهية أعادت لنا الفن القديم

هناك فنانون قادرون على المحافظة على الفن الجميل

جدة – المحرر

×× كانت سهرة لم يكن لها أي تخطيط عندما دعا الصديق خالد أبو منذر بعض أصدقائه في "ليلة" مزهرة بأولئك الأخوة الذين كانوا خليطاً من الفنانين والأدباء والصحفيين وأهل الاعلام الاذاعي والتلفزيوني في احدى الاستراحات حيث تكشف للحضور ذلك الحضور الفني الغنائي الذي كان عليه هؤلاء الفتية حيث أعادوا الى الفن أصالته بعد أن امتلأت ساحته بذلك – الفن – الذي نسميه "بالصرقعة" أكثر منه أي شيء آخر فأنت لا تستمع الى كلمة لها معناها الواضح، ولا الى لحن له من مقومات الطرب ما يشدك إليه لكي تتابعه.. لكن هؤلاء الشباب استطاعوا أن يؤكدوا أن هناك أصواتاً قادرة على حمل الأغنية الجميلة المعبرة بصدق.. عندما استمعنا الى ذلك الفنان ياسر السقاف الذي فاجأ آذاننا بأول أغنية تسيدت الساحة لزمن طويل.. والملفت أنه أداها بشخصيته هو لا بشخصية مغنيها الأساسي عندما قال:

الجفري

حمبظاظا

السقاف

ثلاثة فنانين وعازفين يحملون على أكفهم الطرب الأصيل

ياريم وادي ثقيف ... لطيف جسمك لطيف
ماشفت أنا لك وصيف ... في الناس شكلك غريب
أنت المنى والأمل ... في مهجتي لك محل
يا من بحسنه اكتمل ... ما ترحمون الحبيب
يا ليت وصلك يعود ... وأسعد بلثم الخدود
يللي تشادي الورود ... قلبي بقربك يطيب
عبدك ضناه الغرام ... ساهر وغيره ينام
يا زين هذا حرام ... لو صاح ماله مجيب
ايه مقصدك في ضناي ... الوصل غاية مناي
بالله حقق رجاي ... من يقصدك ما يخيب

وبعد أن هيأ المستمع الى الانصات إليه أكثر وباهتمام أكبر انطلق في أغنيته الاخرى مستحضراً ذلك الفنان الذي أطلق عليه ايامها سفينة الالحان عبدالله محمد عندما ارتفع صوته في نغم صافي:

هيَّجت ذكراك حُبِّي .. وأستبدَّ بيَ الأنين
وتفتَّتَ القَلبُ المتيَّمُ .. في هواكِ أتشعرين

طلال أبو منذر

أنا في دُجى اللَّيلِ أُمنِّي..طرفي الباكي الحزين
بخيالِ فاتنة كغُصنِ البان .. كالدُرِّ الثمين
لا أظنُّكَ تذكرين
هل تذكُرينَ الفُلكَ مهدَ غرامنا
والموجُ يرقُصُ ضاحكاً بجوارنا
والبحرُ في صمتٍ يُداعِبُ فلكَنا
والبدرُ في تيهٍ يُباركُ حبَّنا
وكأن هذه الدُّنيا مُلكُ يميننا
لا أظنكِ تذكري

ليتبعها بتلك الأغنية التي كانت عندما انطلقت قبل حوالى ثلاثين عاماً واحدة من الأغاني التي تسيدت الساحة الغنائية.. والحاملة في كلماتها تلك النصيحة عندما قال شاعرها بدر بن عبدالمحسن ولحنها عبدالله محمد:

يا صاحبي ما في الهوى راحه
أحذر تبيع القلب لجراحه
مسكين من قال الهوى جنه
يومين و يخيّب هواه ظنه
و يقول ما في الهوى راحه .. يا صاحبي

ليفاجئنا فنان آخر من هؤلاء الشباب الذين احتفظوا بنقاء الكلمة وبصفاء اللحن انه الشاب أنس حمظاظا الذي أخذنا في ذات السياق الفني الذي لم يخلطوه بهذه "الزفة" من الألحان الهوجاء عندما راح يردد في هدوء الواثق قائلاً:

تصدق والا احلفلك .. عجزت بلساني اوصفلك
نعيم الحب في وصلك .. وانت كريم من اصلك
وشوف قلبي على يدي .. وهوه اغلى ما عندي
وتبغى زياده في حبي ..اجيب لك قلب تاني منين

فما كدنا نسترجع ذلك الزمان الذي قيلت فيه هذه الأغنية حتى أخذنا في غمرة الاندماج الى تلك الأغنية من مقام الحجاز والتي لحنها ذلك الفنان الأسمر الرشيق وكأن في يده – عصا نبوت – المزمار عمر كدرس:

البُعدِ طال والنَّوى وحُبُّه جرح قلبي
دوَّرتُ أنا على الدواء محد رحم حُبِّي
بكيوا كثير أهلي وأحتاروا في أمري
جابوا طبيب الهوى عسى يطيب جرحي
قال الطبيب لأهلي لما نظر حالي
هذا المريض مسكين صعبان على حالي
ضربات قلبه تقول فارق حبيب سالي
ماله دَواء عِندي غير شوفة الغالي

ليمضي بنا ذلك الشاب بصوته القوي المطواع لألحان أولئك الفنانين أمثال فوزي محسون ذلك الفنان ابن رمال جدة.. الساكن في أحيائها القديمة.. فأنت عندما تسمعه كأنك ترى وتسمع ذلك الهمس خلف رواشين العلوي أو أزقة حارة البحر التي نقلها الشاعر الجميل صالح جلال وهو يقول:

سبحانه وقدرو عليك .. وخلوك تنسى احبابك
ولابتسأل علينا خلاص .. قفلت في وجهنا بابك
ولاعاد زله او طله .. يحق لكم لنا الله
وسبحانه قدرو عليك ..
ياعيني حظنا تعبان .. دا مهما نسوي مابيبان
لو تحلف كتير ايمان .. مراح اصدق الحلفان
نسيتنا واحنا في (جدة) .. ونسيت ايامنا الحلوه
ولاعاد زله او طله .. يحق الكم لنا الله
وسبحانه قدرو عليك ..
سبحانه وصرتو كبار .. وصار ينقال لكم اشعار
دا بكره تنزل الاسرار .. صبرك دا الفلك دوار
نسيتنا واحنا في (جدة) .. نسيت ايامنا الحلوه
ولاعاد زله او طله .. يحق الكم لنا الله
وسبحانه قدرو عليك ..

لنأتي الى اخر أولئك الفنانين المصرين على أن يكونوا حاملي ذلك النوع من الطرب الأصيل انه الفنان هاشم الجفري الذي أعاد لنا صوت الفنان عبدالله محمد عندما ارتفع صوته متسائلاً عن حبيبه الذي افتقده منذ زمن فراح يقول له:

انت فينك يا حبيبي من زمان غايب علينا
هوه فيه غيرك حبيبي ..؟
لو جفينا يا حبيبي أو نسينا !
الحنان عندك غريب ..
قول لي قصدك يا حبيب
و الغرام ، يرجع لي ثاني
ليه ، ليه ، ليه ؟

ليتبعها من نفس ألحان الفنان الكبير عبدالله محمد وهو يتساءل ما هو ذنبه الذي ارتكبه في حقه:

ايه ذنبي ليه بس يا اسمر .. لحظك بحبك رماني
ربي عطاك عينين تسحر .. والقلب قاسي منامي
يا اسمر ..
بدري عليك لا تكدر .. ياللي سمارك شجاني
اسقيتني مر ما مر .. خلي هوانا تهاني
يا اسمر ..
قالوا الخطر قلت اخطر .. كلام كل من نهاني
يا غصن بانٍ تعذر .. قلبي لأجلك جفاني
يا اسمر ..
إن قال عذولي تصبر .. اصم ابكم تراني

ومع أنه اصبح أصم وأبكم إلا أنه كان حيران فهو له سنة وهو في حيرته عندما انطلق في أغنيته حيران وليا سنة ليختتم هذا اللقاء بذلك الدعاء الفطري الذي يلهج به كل إنسان راجياً الرضا والعافية عندما قال:

يا الله سألتك بحلات العقود
تستر علينا الرضا والعافية

عندها توقف بنا الزمن عند ذلك الزمن الذي مضى.. والذي استطاع هؤلاء الفنانين العودة بنا اليه لنعيشه ولو بالسمع والتلفت فقط.

●● وبعد:
كانت الفرقة المكونة من عازف قانون وكمنجة وايقاعين واحد كان على الطبلة وعلى رق صغير وآخر على الدف وكانوا في قمة الأداء العزفي مما حدا بالدكتور عبدالله مناع وكانٍ أحد الحضور أن يذهب إليهم مبدياً عن اعجابه حيث قال لهم لقد أعطيتمونا احساساً بأنكم فرقة كاملة من عدة عازفين.

عن العشاق.. سألوني ٣-٣

شيرين الزين

لم يكن إعجابا!!كان حبا..حب من زمن آخر. لم تدرك كنهه، إلاحين وجدت نفسها تتلهف على الحديث معه كل ليلة، وتقلق أيما قلق ،بل تحس بفراغ رهيب إن هو غاب ،او حتي تأخر عن موعده المعتاد.بينما كان هو لا يتوانى على ترك عشرات الرسائل الحائرة، وربما القصائد لو أخلفت الموعد ليلة.لم تعد تسمع ما يدور حولها من حديث، ولا حتى تحس بمجفف الشعر يداعب خصلات شعرها الحريري.بل لم تعد حتى تهتم بالنظر الى المرآة، لتتابع ما تفعله المصففة بشعرها.

(هذه الدنيا كتاب أنت فيه الفكر
هذه الدنيا ليال أنت فيها العمر
هذه الدنيا عيون أنت فيه البصر
هذه الدنيا سماء أنت فيها القمر
فارحم القلب الذي يصبو إليك
فغدا تملكه بين يديك)

غابت عن الواقع،وغفلت عما يحيط بها في الصالون إلي درجة أنستها المؤتمر الذي دعيت له ،فقد اختصرت كل السفر في شخصه .تذكرت اللحظة التي فاجأته فيها بأنها ستأتي في زيارة عدة أيام الي بلده، وكيف كانت ردة فعله الطفولية الصاخبة وهو يضحك، ويصرخ قائلا أميرة لا أصدق ...فعلا لا أصدق . أحقيقي ما تقولين؟ هل فعلا سأراك ،وألمس يديك؟هل فعلا سينصف القدر صبري ،وأنظر إلي عينيك طويلا..طويلا ، ولطالما سحرني الإبحار فيهما علي صورك الجميلة؟ يا الله! يالها من هدية العمر، وكنت قد يئست من الحصول عليها .وأخيرا سأضمك الي صدري ياملاكي .

(وغدا تأتلف الجنة أنهارا وظلا
وغدا ننسى ، فلا نأسى على ماض تولى
وغدا نسمو فلا نعرف للغيب محلا
وغدا للحاضر الزاهر نحيا ليس إلا
قد يكون الغيب حلوا ، إنما الحاضر أحلى
أغدا ألقاك؟)

ولحديث القلوب شجون لا تنتهي.

إشراف
علي محمد الحسون

إنه ابن الشبيكة وغيلمة و (باريس)

●● إنه من الرجال ذوي القبول عند الآخرين، وذلك لما يملكه من وجه طليق.. دائم الابتسام والبشر والحبور.. يؤمن بذلك القول "تبسمك في وجه أخيك صدقة"، له من الروح المرحة ما يجعله يتسلل الى بهو نفسك في هدوء مرحب به، له "كاريزما" اكتسبها من ما يملك من روح مشبعة بالخير، بعيدة كل البعد عن الشر أو السوداوية التي تغلف بعض النفوس.
كان في عمله واحداً من أولئك الذين تشبعوا بفلسفة كن مع الخير حيث هو فلا تراه إلا مساعداً على كل ما يجلب السعادة للآخر.. يعمل ذلك وهو مرتاح الضمير، ذلك الارتياح النابع من نظافة يده، ونظافة ضميره وطلاوة وطلاقة لسانه، لا ينطق إلا من بهاء نفس كريمة.. ذلك الكرم الذي يمتاز به في تعامله مع الآخرين انطلاقاً من تلك الحكمة التي تقول:لا يخدم بخيل.
لهذا يعطي من نفسه أغلاها، ومن ماله أكرمه في حرص على أن يكون في غفلة من الآخرين أن ما يبذله لوجه الله.

×××

ما أن تراه في لقاء وهو بتلك الروح المذابة في الصفاء النفس حتى تدرك أنك أمام إنسان له من شفافية الحضور في داخلك ما يجعلك تستسلم له في محبة، وفي ذوبٍ نفسي حقيقي.. هكذا هم الذين يملكون نفساً شفافة وشفيفة.. فهم يمتحون من نهر صافي لا تعكره.. الطحالب – أو تلونه – الادران – وتلك هي النفوس المؤمنة الصادقة والكبيرة.
لقد أمضى في عمله عمراً طويلاً كان فيه ذلك الرجل المؤتمن على ما كان يقوم به من أداء بإخلاص وهو غاية في المرونة غير الضارة التي تكتشف الصحيح فتذهب إليه، وترى الفاسد فتبعد عنه وتقضي عليه.. يعمل ذلك بروح مرحة.. عرف بها، وختم على حياته العملية بما يؤمن به من صدق، وهو ذلك المسؤول الذي خبر المسؤولية فاعطاها من نفسه قوتها، ومن حرصه شموليته.. لا تثنيه عن المضي في دهاليز المسؤولية عقبة – مغرض – ولا تفلت منه لمحة "مرتاب" إنه يعمل في وضوح النهار، وتحت أشعة الشمس بلا ظلال يتقي بها نور أو وضوح في الرؤية ، وسلامة المأخذ في العطاء، هكذا هو درب نفسه متخذاً من أولئك الأوائل نبراساً يهتدي بهداهم في الوقوف على الحق.
إنه أحمد الحمدان ذلك الشاب الذي نشأ وتعلم في مكة المكرمة، وأخذ من حواريها تلك، روح شبابها، وعفويتهم، وطيبتهم، بل ما تنطوي عليه نفوسهم من شهامة ابن البلد – المكاوي الأصيل – الذي لا تخفى عليه فلتات النفس، إنه ابن الشبيكة بعنفوانه، وابن الشامية برقيه.. وابن المسفلة بروحه المعطاءة، وابن جرول بصلابته.. وابن السلمانية بهدوئه.. إنه ابن "غيلمة" بشفافيته العذبة.. إنه تكوين مادي صبغته ملوحة الأرض بعنفوانها في جدة، وأن كانت جذوره من هناك من باريس نجد.. وهو دلالة على تلاحم هذه البلاد فابن الشرق له جذوره في الغرب، وابن الشمال يسمع ندهة شقيقه في الجنوب ليردد صداها في الوسط.. إنه البلد الواحد.. الذي يعيش في ربوع هذا الوطن بكل صدق المواطنة، وحدبها وديمومتها.